نساء فى الإسلام

* * *

السَّيِّدة صَفِيَّة

رَضِىَ اللَّهُ عَنها

نجلاء شوقى حسن

نساء فى الإسلام

السَّيِّدةُ صفِيَّة

رضِىَ اللّهُ عنها

تأليف

نجلاء شوقى حسن

الناشـر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقى ـ الفجالة

ت : ٥٩٠٨٩٢٠

السَّيِّدةُ صفِيَّة

رضِيَ اللّه عَنها

دخلَ السَّيدُ أحمدُ حجرةَ ابنَتِهِ عبـير ، فوجدَهـا تجلـسُ إلى مَكتبِهـا الصَّغـير ، تقـرأُ إحـدَى المِجلاّت ، فهزَّ رأسَه وقالَ مُبتَسِما :

ـــ أرَى ابنتـي الحَبيبَـةَ قـد ملّـت اسْـتِذكارَ دروسِـها ، وأَرجـو أن تَتذَكّـرَ أنَّ الامْتِحانـاتِ أصبَحتْ على الأبْواب .

فضَحِكـتْ عبـيرُ وقـالَت وهـيَ تقـومُ عـن مَقعدِها .

مَفهومٌ يا والِدى العَزيز ، وكلُّ ما هُنـالِك أنّـى اسْتَقطعْتُ بعضَ الوَقت ، لتَجديدِ النّشاط .

قالتْ ذلك وأسْرعتْ تضُمُّ أباها وتَقول :

ـ أتَعلـمُ يـا والِـدى أنَّ ابنتَـكَ العَزيـزَةَ جـدًّا ، تَنقُصُها المَعرِفَة ، ومَعلومـاتٌ عَظيمـةُ الأَهمِّيَّـة ، وقد اكْتَشـفْتُ هـذا وأنـا أقـرَأُ عـن مُسـابَقةٍ فـى المِجلَّة ، بها عِدَّةُ أسْـئلَة ، وكـانَ السُّـؤالُ الأوَّلُ أصعَبَها جَميعا ، وقد اسْتهلكَ كلَّ وَقتـى لَمعرِفَتِـهِ دونَ جَدوَى ، فهلْ يُرضيكَ هذا يا أبى ؟

قالَ أبوها : وما هو ذلكَ السُّؤالُ يا ابْنَتى ؟

قالتْ وهى تُعيـدُ قِراءَتَـه مـن صَفحَـةِ المِجلَّـة ، صَحابيَّةٌ جَليلَة ، مـاتَ شَـقيقُها شَـهيدًا ، وابنُهـا صَحابِىٌّ جَليل ، وهى قُرشِيَّةٌ هاشِـميَّة ، وفارِسَـةٌ شُجاعَة .

هذا كلُّ ما فى السُّؤالِ يا أبى .

(٥)

قالَ أبوها : وما هو المطلوبُ منّىَ الآن ؟

قالَت : المَطلـوبُ مِنـكَ الآن ، أن تُجيـبَ عـن هـذا السُّـؤال ، وتُعرِّفَنـى بهـذِه الشَّـخصِيَّة ، وتَحكى لى حِكايَتَها .

قالَ أبوها : لا مانعَ عِندى .

ثمّ قال : هذه الشَّخصِيَّةُ هى صَفيَّةُ بنـتُ عبـدِ المُطَّلب ، بنِ عبـدِ مَنـاف ، عَمَّـةُ رَسـولِ اللّـه ــ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ـــ ، وأبوهـا عبـدُ المُطَّلِـبِ هو زَعيمُ قُرَيش ، وأُمُّها هى هالَةُ بنتُ وَهب .

وقد نشأتْ صفِيَّةُ فى بَيـتِ عبـدِ المُطَّلـبِ سيِّدِ قُرَيْشٍ وزَعيمِها وصاحبِ المجدِ والشَّرَف .

فتكوَّنتْ شخصِيَّتُها القَويَّـةُ ذاتُ النُّفـوذ ، فـى هـذه الأُسـرَةِ العَريقَـةِ الحَسَـبِ والنَّسَـب ،

فنشَأتْ فصيحةً بليغة ، وفارسةً شُجاعَة ، تركبُ الخيل ، وتُقاتلُ بالسَّيفِ والرُّمح .

وقد تزوَّجت السَّيِّدةُ صَفِيَّةُ مرَّتين ، فكانَ زوجُها الأوَّلُ هو الحارثُ بنُ حَرب ، ولكِنّه ماتَ ولم تُنجبْ منه ، ثُمَّ تزوَّجها العَوّامُ بنُ خوَيْلد ، أخو السَّيِّدَةِ خَديجَةَ بنتِ خُوَيْلد ، فرُزِقَتْ منه بابْنِها الزُّبَيْرِ بنِ العَوَّام ، الّذى ماتَ أبوهُ وتركَه طِفلاً صَغيرا ، فتولَّتْ أُمُّه تربِيَتَهُ وتَنشِئَتَه ، فكانت نِعمَ المُربِّيَة .

إنَّ السَّيِّدةَ صَفِيَّة ـ رضِيَ اللّهُ عَنها ـ تَعلمُ أنَّ الحياةَ العَربِيَّةَ تَلزمُها الرُّجولَةُ والفُروسِيَّة ، لذلك فقد ربَّت ابنّها علَى الخُشونَةِ منذُ الصِّغَر .

وهكذا نَشأَ الزُّبيرُ بنُ العَوّامِ كما أرادتْ أُمُّهُ أن

يَكون .

وعندَما أشْرَقت مَكّةُ بنورِ الإسْلامِ على يَدِ ابنِ أخيها مُحمَّد ـ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلام ـ كانت السَّيِّدةُ صفِيَّة ، من أوائلِ الّذينَ آمَنوا به ، وصدَّقوا رِسالَتَه .

وكان قد سبَقَها إلى الإسْلام ابنُها الزُّبيرُ بنُ العَوّام ـ رضِيَ اللّه عنه ـ وقد بلَغَ به حَماسُهُ وحبُّهُ لدينِ اللّه ، أن تَصدَّى يومًا لأحدِ المُشرِكينَ الضّالين ، الّذين هَزءوا به وبإيمانِه ، أن ضَرَبَهُ وشَجَّه . وهكذا كان الزُّبيرُ بنُ العَوّامِ كما أرادتْ له أُمّه ، فقد وصلَ إلى دَرجةٍ عاليةٍ من الإيمان والتّضحِيَةِ والفِداء . وقد قالَ رسولُ اللّهِ

ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ـ إنَّ لكُلِّ نَبىٍّ حَوارِيّا ، وحَوارِىَّ هو الزُّبيرُ بنُ العَوّام .

وكان رسولُ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ـ عِندَما بعثَهُ اللّهُ بالهُدَى ودينِ الحقِّ لِيُخرِجَ النّاسَ من الظُّلماتِ إلى النور ، أمرَهُ فى البدايةِ بأن يَدعو أهْلَه إلى الإسْلام ، فقالَ : ﴿ وأَنذِر عَشيرَتَكَ الأقْرَبين ﴾ فجمعَ الرَّسول ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ـ أقارِبَهُ رِجالاً ونِساءً وأطْفالا ، ودَعاهم إلى الإسْلام ، وحضَّهم على التّصديقِ برِسالَتِه ، وأعلَمهُم أنّه لن يُغنِىَ عنهم يومَ القِيامَة ، فقال : (يا فاطِمَةُ بنتُ محمَّد ، يا صَفيَّةُ بنتُ عبدِ المُطَّلِب ، يا بَنى عبدِ المُطَّلب ، إنّى لا أملِكُ لكم منَ اللّهِ شَيئا) وكانتْ لكَلِماتِ

الرَّسول ـ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّم ـ أكبرُ الأثرِ على قَلب السَّيِّدةِ صَفيَّة ، حيث عرَفَ الإيمانُ طَريقَهُ إلى قَلبِها ، فامْتلأَ قلبُها نورًا وإيمانًا وهِدايَة ، وودَّعتْ حَياةَ الجاهِليَّة ، وبذلك كانتْ من أوائلِ منْ دخلوا في دينِ اللَّهِ عزَّ وجَلَّ .

وهكذا جَمعتِ السَّيِّدةُ صَفيَّةُ بينَ شَرفِ النَّسبِ وعِزَّةِ الإيمان ، بعدَ دُخولِها في دينِ اللَّه . فاسْتقبَلتْ حَياةً جَديدَة ، ملؤها النُّورُ والهِداية ، فهاجَرت هي وابنُها إلى يَثرِب ، على الرُّغمِ من كِبَرِ سِنِّها ، فقد كانت تَقترِبُ من عامِها السِّتِّين ، ومعَ ذلك كانتْ لها في مَيادينِ القِتالِ مَواقفُ عَظيمَة ، مازالَ التّاريخُ يَذكُرُها في صَفَحاتِهِ بحُروفٍ من نور .

ففى يومِ أُحُد ، كانت فى طَليعَةِ النِّساءِ اللاّتى خَرجنَ لخِدمَةِ المُجاهِدينَ وتَحميسِهم للجهاد ، ومُداواةِالجرحى . فلمّا انهزَمَ المُسلِمونَ فى هذه الغَزوة ، عِندَما خالفَ الرُّماةُ أمرَ الرَّسول ــ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّم ــ بالثَّبات ، فتركوا أماكِنَهم ونَزلوا يَجمَعونَ الغَنائم ، ولم يبقَ حولَ الرَّسولِ إلاّ القَلائلُ من أصْحابه ، قامتْ صَفيَّة ــ رضى اللَّه عنها ــ وبيَدِها رمحٌ تضرب به وجوهَ المنسحبين وتقول لهم ؟

ــ انهزمتم عن رسول اللّه ؟

فلما رآها رسول اللّه ــ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّم ــ أشفق عليها وقال لابنها الزُّبير بن العوّام :

ـــ القَهـا فأَرجعْهـــا .. لا تــرَى مــا بشَــقيقِها (حَمزةَ بنِ عبدِ المُطّلب) .

فلَقِيَها الزُّبيرُ فقال :

ـ يا أُمَّه ، إنَّ رَسولَ اللّــه ـــ صلّى اللّـهُ عليـهِ وسلّم ـ يأمُركِ أن تَرجعى .

فقالتْ السَّيِّدةُ صَفِيَّة :

ـ ولِمَ ؟ فقدْ بَلغنى أنّه مُثّلَ بأخى ، وذلـكَ فـى اللّهِ عزَّ وجلَّ قَليـل . فمـا أرْضانـا بمـا كـانَ مـن ذلك .

لأَحْتَسِبنَّ ولأَصبِرنَّ إن شاءَ اللّهُ تعالى .

وعادَ الزُّبيرُ إلى رسولِ اللّه ـ صلّـى اللّـهُ عليـهِ وسلّم ـــ فـأخبَره بذلـك ، فقـالَ عليـهِ الصَّـــلاةُ والسَّلام :

ـ خلِّ سبيلَها .

فأتَت السَّيِّدةُ صفِيَّةُ نحو جُثَّةِ حَمـزة ، فنظـرَتْ إليـه ، وصَلَّـت عَليـه واسْتَرجَعتْ واسْـتَغفَرتْ ، فأمرَ رسـولُ اللّـه ــ صلّـى اللّـهُ عليـهِ وسلّـم ــ فدُفِن .

وقالتْ تَرثية ـ رضِيَ اللّه عنها ـ بعدَ دَفنِه :

أسائلَـــةٌ أصْحـابَ أحُـدٍ مَخافـةَ
بنـاتِ أبـى مـن أعْجُـمٍ وخَبـير

دُعاءَ إلهِ الحقِّ ذى العرشِ دَعـوةً
إلى جَنَّـــةٍ يحيـا بهـا وسُــرورِ

فواللّهِ لا أنسـاكَ ما هبَّـتِ الصَّبـا
بكاءً وحُزنًا مَحضَرى ومَسـيرى

وفى يومِ غَـزوة الخَنْـدَق « الأحْزاب » خَـرجَ رسولُ اللّه ــ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ــ وأصحابُـهُ مـن المَدينـةِ لقِتـال أحـزابِ المُشـرِكين ، وتَركـوا النِّســاءَ فــى حِصــنِ « حسّــانَ بــنِ ثــابِت » الأنْصارىّ ، وكانَ فى جُزءٍ من المَدينةِ يَعيـشُ فيـه اليَهود ، الّذين كان بينَهـم وبـينَ رَسـولِ اللّـه ــ صلّى اللّهُ عليهِ وسـلّم ــ عَهـدُ أمـانٍ لا يَعتَـدون على المُسلِمين ، ولا يَعتدى المُسلِمونَ عليهم .

وبينَما النِّساء فى قَلقِهـنَّ علـى المُؤمِنـينَ الّذيـنَ خَرجـوا للقِتَـالِ عنـدَ الخنـدَق ، كـان رجـلٌ مـن اليَهودِ يَطوفُ بـالحِصنِ ويَتَجسَّـس ، وكـانَ مـن بنِى قُريظَةَ الغادِرينَ الماكِرين ، الّذينَ تَعاهَدوا مع رَسولِ اللّه ــ صلّى اللّهُ عليـهِ وسـلّم ــ ، فرأتْـه

السَّيِّدةُ صَفِيَّة ـ رضى اللّه عنها ـ فدبَّت فيها الحَماسة ، فقامَتْ وأخذتْ عَمودًا غَليظا ، ثمَّ نزلتْ من الحِصن ، وفتَحتْ بابه على مَهَل ، وفى هُدوء . وتَحيَّنت فُرصةَ غَفلةِ اليَهودِىّ ، وضَرَبتْه بالعَمودِ على أُمِّ رأسِه ضَرَباتٍ مُتلاحِقَة ، فقتَلَته ، ثمَّ رجَعتْ إلى الحِصن . فلمّا عَلِمَ اليَهودُ بأنَّ رجُلَهم لم يَعُد بَعدُ وقد فاتَ من الوَقتِ الكَثير ، أدرَكوا بأنَّ رِجالَ المُسلِمينَ بالمَدينة لِحمايَةِ النِّساءِ ولم يَخرُجوا جَميعًا للقِتال ، ففَشِلتْ خِطَّتُهم لسَرقَةِ النِّساء ، والزَّحفِ خلفَ المُسلِمين .

وفى يَومِ غَزوةِ خَيبَر ، انطَلقَت صَفِيَّةُ مع بعضِ النِّسوةِ المُسلِماتِ المُؤمِناتِ ، يَشدُدنَ أزرَ

المُجاهدِين ، واتّخذنَ قَريبًا مـن مَيـدانِ المَعرَكـة ، مع كُعَيبَةَ بنتِ سَـعدٍ الأسـلَمِيّة ، خَيمـةً يُداويـنَ فيها جِراحاتِ المُصابين ، ويقُمنَ على خِدمَتِهـم .

ولقدْ ضربتْ السَّيِّدةُ صَفيَّة ، أعظمَ المُثُلِ على أنَّ المرأةَ قادِرةٌ على إفادَةِ المُجتَمعِ فى جَميعِ أَوقاتِه ، فى السَّلمِ وفى الحَرب .

وحـينَ لَحِقَ رسُـولُ اللّـه ــ صلّـى اللّـهُ عليـهِ وسلّم ـ بالرَّفيقِ الأَعلَى ، كانتْ صَفيَّة ــ رضِـىَ اللّه عَنها ـ من أكثَرِ أهلِـهِ جزَعًـا وحُزنـا عليـه .

وعاشَـت ــ رضـىَ اللّـهُ عنهـا ــ بعــدَه مُعـزَّزةً مُكرَّمـة ، يَعـرِفُ الخُلفـاءُ والصَّحابـةُ لهـا قَدرَهــا ومَكانَتَها .

ثمَّ تُوفِّيت ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنها ـ فى خِلافَةِ عُمَر ابنِ الخَطّاب ـ رَضِيَ اللّه عنه ـ سنَةَ عِشرينَ من الهِجرَة ، ودُفِنتْ فى البَقيع .

قالتْ عَبيرُ فى دَهشَة :

ـ يا لَها من قِصَّةٍ شائقَة ، لم أسمعْ بِها من قَبْل . وهـذا يَـدلُّ علَـى أنَّ هُنـاكَ حِكايـاتِ بُطـولاتٍ كَثيرَة ، لأجْدادِنا المُسلِمينَ الأوائِل لا تَنتَهِى .

قالَ أبوها فى سُرور : أعْتقِدُ الآنَ أنّه يُمكِنـكِ الإجابةَ عن السُّؤالِ الصَّعب .

نساء في الإسلام

(١) السيدة صفية رضى اللّه عنها

(٢) أم هانئ رضى اللّه عنها

(٣) أم ورقة رضى اللّه عنها

(٤) أسماء بنت يزيد رضى اللّه عنها

(٥) نسيبة بنت كعب رضى اللّه عنها

(٦) أم الدرداء رضى اللّه عنها

(٧) السيدة نفيسة رضى اللّ

(٨) السيدة زينب رضى اللّ

(٩) فاطمة بنت الخطاب رضى الل

(١٠) فاطمة الزهراء رضى ال

الثمن ٥٠ قرشا

دار مصر للطباعة
سعيد جوده السحار وشركاه